

تفسير البحر المحيط

@ 479 @ وجواب أمر على تقديرين وصفة . قال الزمخشري ، (فإن قلت) : كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر ، (قلت) : لأن فيه معنى التمني إذا قلت إنزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم انتهى ، وإذا قلت لا تطرحك وجعلته جواباً لقولك إنزل وليس فيه نهي بل نفي محض جواب الأمر نفي بلا وجزمه على الجواب على الخلاف الذي في جواب الأمر والسته معه هل ثم شرط محذوف دل عليه الأمر وما ذكر معه معنى الشرط وإذا فرعنا على مذهب الجمهور في أن الفعل المنفي بلا لا تدخل عليه النون للتوكيد لم يجز أنزل عن الدابة لا تطرحنك ، وقال الزمخشري ، (فإن قلت) : ما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم خاصة ، (قلت) : التبعية على الوجه الأول فالتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم منكم أقبح من سائر الناس انتهى ، ويعني بالأول أن يكون جواباً بعد أمر وبالثاني أن يكون نهياً بعد أمر وخاصة أصله أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي إصابة خاصة وهي حال من الفاعل المستكن في لا تصيبن ويحتمل أن يكون حالاً من الذين ظلموا أي مخصصين بها بل تعمهم وغيرهم ، وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون خاصة حالاً من الضمير في ظلموا ولا أتعمل هذا الوجه . .

{ وَءَاذَ لَمُؤَاوِءِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خِيفَةٌ وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَكَانُوا فِيهَا لَخَائِدِينَ يَدْعُونَ نَارَ اللَّهِ هَارِياً وَهُمْ لَا حَافِئِينَ } وهذا وعيد شديد مناسب لقوله لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة إذ فيه حث على لزوم الاستقامة خوفاً من عقاب الله لا يقال كيف يوصل الرحيم الكريم الفتنة والعذاب لمن لم يذنب ، (قلت) : لأنه تصرف بحكم الملك كما قد ينزل الفقر والمرض بعبدته ابتداءً فيحسن ذلك منه أو لأنه علم اشتمال ذلك على مزيد ثواب لمن أوقع به ذلك . .

{ وَإِذْ كُفِرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مِّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَسَلُواكُمْ وَأَيْدِيكُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَتَوَلَّوْا لَهُمْ كُفُوراً } نزلت عقب بدر ، فقبل خطاب للمهاجرين خاصة كانوا بمكة قليلي العدد مقهورين فيها يخافون أن يسلبهم المشركون ، قال ابن عباس فآتواهم بالمدينة وأيدهم بالنصر يوم بدر والطيبات الغنائم وما فتح به عليهم ، وقبل الخطاب للرسول والصحابة وهي حالهم يوم بدر والطيبات الغنائم والناس عسكر مكة وسائر القبائل المجاورة والتأييد هو الإمداد بالملائكة والتغلب على العدد ، وقال وهب وقتادة الخطاب للعرب قاطبة فإنها كانت أعزى الناس أجساماً وأجوعهم بطوناً وأقلهم حالاً حسنة والناس فارس والروم والمأوى النبوة والشريعة والتأييد بالنصر فتح البلاد وغلبة الملوك والطيبات

تعم المآكل والمشارب والملابس ، قال ابن عطية : هذا التأويل يردّه أن العرب كانت في وقت نزول هذه الآية كافرة إلا القليل ولم تترتب الأحوال التي ذكر هذا المتأول وإنما كان يمكن أن يخاطب العرب بهذه الآية في آخر زمان عمر رضي الله عنه فإن تمثّل أحد بهذه الآية بحال العرب فتمثيله صحيح وإما أن يكون حالة العرب هي سبب نزول الآية فبعيد لما ذكرناه انتهى ، وهذه الآية تعديل لنعمه تعالى عليهم ، قال الزمخشري : إذ أنتم نصب على أنه مفعول به لاذكروا طرف أي اذكروا وقت كونكم أقلية أدلّة انتهى ، وفيه التصرّف في إذ بنصبها مفعولة وهي من الظروف التي لا تتصرّف إلا بأن أضيف إليها الأزمان ، وقال ابن عطية : وإذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الكائنة أو الثابتة إذ أنتم قليل ولا يجوز أن تكون إذ ظرفاً ل (ذكروا)